

التبيان في تفسير القرآن

(458) القبائح العقلية، اللهم إلا أن يفرض أن في بعثه الرسول لطفًا، فإنه لا يحسن من
□ تعالى مع ذلك أن يعاقب احداً إلا بعد أن يعرفه ما هو لطف له ومصلحة لتزاح علقته. وقيل:
معناه " وما كنا معذبين " بعذاب الاستئصال والهلاك في الدنيا " حتى نبعث رسولا ". وفي الآية
دلالة على بطلان قول المجبرة: من ان □ يعذب اطفال الكفار بكفر آبائهم، لانه بين أنه لا
يأخذ احداً بجرم غيره. قوله تعالى: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها
فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) (16) آية بلاخلاف. قرأ يعقوب " أمرنا " بمد الهمزة.
وعن الحسن " أمرنا " بالتشديد، وروي عنه " أمرنا " بكسر الميم خفيفة وهي ردية. ذكر في
هذه الآية وجوه أربعة: أحدها - ان مجرد الهلاك لا يدل على أنه حسن أو قبيح، بل يمكن وقوعه
على كل واحد من الامرين، فإذا كان واقعا على وجه الظلم، كما قبيحا، وإذا كان واقعا على
وجه الاستحقاق أو على وجه الامتحان، كان حسنا، فتعلق الارادة به لا يقتضى تعلقها على الوجه
القبيح. وإذا علمنا أن القديم لا يفعل القبيح، علمنا أن إرادته الهلاك على الوجه الحسن.
وقوله " أمرنا مترفيها المأمور به محذوف، وليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق وان
وقع بعده الفسق، بل لا يمتنع أن يكون التقدير: وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرناهم بالطاعة،
ففسقوا فيها فحق عليها القول، وجرى ذلك مجرى قولهم: أمرته فعصى ودعوته فأبى، والمراد
أمرته بالطاعة ودعوته إلى الاجابة والقبول، فعصى.